الفصل الخامس والعشرون

الانتقـام من نوفغورود

ان المبالغة في جنون العظمة هي التي دفعت القيصر لارتكاب جرائم اكبر . كان يشغله موضوع ولاء السكان في نوفغورود وبسكوف فوضع يده خلال الربيع على رهائن ضمانا له على حسن سلوك هاتين المدينتين وهكذا اقتيدت خمسمائة عائلة من بسكوف الى موسكو ومائة وخمسين عائلة اخرى من نوفغورود . ولم يكن ثمة تفور حقيقي ، ولكن سكان هاتين المدينتين كانوا يحافظون على تقاليد استقلالهم . وكانت نوفغورود هي الاكبر والاكثر فخارا بين المدينتين . أما بسكوف فكانت آخر واحدة بين الدوقيات المستقلة ضمت الى موسكوفيا . وكانت العائلات القديمة في نوفغورود لا تزال تذكر ان مدينتهم كانت تشكل دولة مستقلة وتستطيع عقد المعاهدات مع الدول الاجنبية . كان اسمها نوفغورود فيليكي اي نوفغورود العظمى ، وكان للمدينة تاريخها واسطورتها وتنظر الى موسكوعلى انها مدينة حديثة نعمةكما ستنظر موسكو الىبطرسبورغ فيما بعد ، ولم يكن ثمة تمرد في هذه التحفظات من الكبرياء المحلية .

وكان لكلا المدينتين تظلمات ومطاعن وبخاصة بعد إنشاء الأوپريتشينا وإن لم تكونا اقل خضوعا لارادة القيصر من بقية المدن الروسية . أما الضجة التي اثيرت حول طلبهما الحماية من سيجسموند اوغست فيمكن ان يقال إنها سخيفة لأن سيجسموند كان قد بدا امام انظار الجميع عاجزا عن حماية المدن الاجنبية وتشهد على ذلك الحاميات الروسية الموجودة في مدن ليڤونيا . واكثر من ذلك سخفا ما قيل عن